مَوْسُوعَةُ

فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ النَّصر

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة النصر

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة النصر

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾

افتتح الله تعالى سورة النصر بالبشرى للرسول صلى الله عليه وسلم بالفتح والنصر، وقد ورد ذلك بأسلوب التشويق له، حيث قال الله عَزَّ وجل ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ إذا حصلت معونة الله تعالى لك بالنصر على الأعداء، وتحقق فتح مكة المكرمة ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ وشاهدت الناس وهم يدخلون في دين الله تعالى جماعات، تتلوها جماعات من كثرتهم ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ فأكثر من التسبيح والتنزيه والصلاة لربك، وأكثر من الاستغفار، فإن ربك أيها الرسول متصف بالتوبة والمغفرة لعباده المستغفرين.

وقد بدأت السورة المباركة بأسلوب التشويق، حيث استهل مطلعها بحرف ﴿إِذَا ﴾ الذي أفاد التحقق. قال القرطبي رحمه الله تعالى عن ﴿إِذَا ﴾ أنها بمعنى: قد، أي: قد جاء نصر الله[1] ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ والنصر، هو الظفر بالأعداء، وهزيمتهم، وتحقق الفتح، الذي هو فتح مكة. فعن مجاهد رحمه الله تعالى أنه فتح مكة[2] مما يبين أن هذا وعد من الله تعالى، وقد تحقق ما وعد الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم، ليصبح ذلك الوعد وتحققه آية من آيات الله تعالى، وحجه على كل أحد من الناس إلى أن تقوم الساعة. ولذلك لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة قالت العرب: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله تعالى من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فَدَخَلُوا

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥٧/٢٠)

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧٠٥/٢٤)

في دين الله أفواجا[١] كما قال تعالى ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ وشاهدت الناس وهم يدخلون في دين الله تعالى جماعات، تتلوها جماعات من كثرتهم ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ فيأمر الله تعالى نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح، وهو أن يذكر الله تعالى، منزهاً له. فنزه ربك بالتسبيح والحمد في شأنك كله. وقد شمل التسبيح: الذكر باللسان، وبالقلب، وبالفعل بالصلاة وعموم العبادات.

وفي دلالة هذا التسبيح أنه الصلاة، قاله ابن عباس. والثاني: التسبيح المعروف. قاله جماعة من المفسرين. قال المفسرون: نُعِيت إليه نفسه بنزول هذه السورة، فَأُعلِم أنه قد اقترب أجله صلى الله عليه وسلم. فَأُمِر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمره بالزيادة في العمل الصالح. قال ابن عباس: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ داعٍ من الله تعالى، ووداَع من الدنيا. قال قتادة: وعاش بعد نزول هذه السورة سنتين[٢] مما يبين أهمية الذكر وفائدته، وأنه قوة للمؤمن، وأن الله تعالى يرفع به مقام الذاكرين، ويدفع به الشرور، ويجلب به الخير، وعلو المنزلة والمكانة.

كما تضمن التوجيه الكريم الأمر بالاستغفار بعد التسبيح ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ أي: واسأل ربك أن يغفر لك ذنوبك. فقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار، كما ورد في سورة غافر، وسورة محمد. فقال الله تعالى في سورة غافر ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ وهو طلب المغفرة من الله تعالى. فإن الله ربك متصف بقبول توبة التائبين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ فإن الله ربكم مُتَّصِف بقبول توبة التائبين. فيتوب على من تاب، بقبول توبته.

وقيل: إن الاستغفار منه صلى الله عليه وسلم ومن سائر الأنبياء هو تعبد، تعبدهم الله تعالى به، لا لطلب المغفرة لذنب كائن منهم. وقيل: إنما أمره الله تعالى بالاستغفار تنبيهاً لأمته، وتعريضاً بهم، فكأنهم هم المأمورون به[٣] قال ابن كثير رحمه الله تعالى في سورة غافر: هذا تهييج للأمة على الاستغفار[٤] لأن في الاستغفار زيادة الدرجات ورفعتها. قال الشوكاني رحمه الله تعالى: ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة: ترك ما

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣٢٤/٨)
(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣٢٤/٨)
(٣) الشوكاني، فتح القدير (٥١٠/٥)
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٩١/٤)

هو أولى، وسُمّي ذنباً في حقه لجلالة قدره، وإن لم يكن ذنباً في حق غيره[1] وقال المحاسبي رحمه الله تعالى: وإنما وُصِفَت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل، مع كونها مغفورة، لشدة اهتمامهم بها، وندمهم منها، وتحسرهم عليها[2] وقد عامل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في شأن المغفرة على أنه بشر، بالرغم من حرصه صلى الله عليه وسلم على ألا يقع في ذنب، لأنه مهما عمل من الطاعات فيشعر عليه الصلاة والسلام بالتقصير في حق الله تعالى. ليتبين للناس أن رسول الله صلى الله مع حرصه ومعرفته لربه، ومعرفة الله تعالى به، وقد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فلو كانت لك ذنوب ماضية وقادمة لغفرناها لك لمنزلتك ومكانتك الرفيعة عندنا.

وبناء على هذا التوجيه الكريم من رب العالمين فقد امتثل عليه الصلاة والسلام بذلك، فكان كثير الاستغفار. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)[3] فإذا كان الله تعالى قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار وهو نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم، والْمُسَدَّد من ربه عَزَّ وجل، والمغفور له، فإنه يتأكد بذلك أهمية الاستغفار للأمة، ووجوب ملازمته، فقد ورد الاستغفار بصيغة الأمر، الذي يفيد الوجوب.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة النصر. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

---

(١) الشوكاني، فتح القدير (٤٥/٥)

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٧٢/٢٠)

(٣) البخاري، الجامع الصحيح (١٥٤/٤) برقم (٦٣٠٧)